المؤتمر الثامن

للجمعية الطبية المصرية بدمشق

للأستاذ عز الدين التنوخي

كاتب سر المجمع العلمي العربي

مطالب جليلة ، ورغائب جميلة ، وقلوبٌ كبيرة نبيلة ، إلى معارف شبيهةٍ مثقفـــةٍ ، ومدارك كهولةٍ ممحصة ، وتجارب شيخوخة محنكة ، مع كثيرٍ من الخيرات والبركات ، قد حل دمشق أولئك جميعاً بحلول رجال المؤتمر الطبي الثامن فيها

أجل تغيرت بهم في دمشق أحوال المجتمع والحياة ، فأصبح مؤتمرهم حديث الأندية وملهجَ الألسنة ، فلم يبق في أحياء الفيحاء من لم يتحدث به من الرجال والنساء ؛ وتبدلت كذلك فنادق دمشق بأبهائها وموائدها وعاقام فوق صروحها من خُضر الأعلام المصرية الزاهرة بأنجمها الثلاثة وهلالها خفاقةً إلى جانب تلك الأعلام الشامية الزاهية بألوانها الأربعة وجمالها

ويا حبذا يوم نشاهد هـــذه الأعلامَ العربية بلغة أبنائها وبلدانها ، تقر عيوننا بكثرة أنواعها وألوانها فيتماوجُ غداً على المؤتمرات العربية في دمشق : العلم المصريُّ والشاميُّ والعراقيُّ والحجازيُّ واليمانيُّ والبرق[1] والتونسي والجزائري والمراكشي ، وتمتزج فيها لهجات العرب المنتشرة في أقطار هـذه الأعلام ، فيتألف من مجموعها لحنٌ عربيٌّ ندىٌّ يرتفع له حجاب السمع ، ويهتزُّ له شِغاف القلب

بل قل ما أسعدَ ذلك اليومَ الأغرَّ المحجّل الذي نرى فيـه للأقطار العربية المتحدة — والقاهرة (وشِنْطونُها) يومئذٍ — علماً عربياً واحداً ، ونسمع لها فيه نشيداً عربياً واحداً ، كما يرى اليوم أبناء العالم الجديد لولاياتهم المتحدة الأمريكيـة لواءً وطنياً واحداً ، ويسمعون في جميع أنحائها نشيداً قومياً واحداً !!

عيدان أظلاّ دمشقَ واجتمعا للدمشقيين في يوم واحد ، وعلى صعيدٍ واحد : عيدُ المولد النبويّ ، وعيد المؤتمر الطبيّ ، فكأنما اندمجت بذلك ولادةُ هذه الأمة الدينية الغابرة ، بولادتها السياسية والدنيوية الحاضرة ! فليس اليوم في الفيحاء إلا قلوب تخفق لذكرى ذلك النبيّ العربيّ العظيم الذي أحيا من هـذه الأمة مواتَها ، وجمع بعد صدع النوى شـتاتها ؛ وليس فيها اليوم إلا قلوبٌ طاهرة وعقول ناضجة ، تفكر في إحياء هذه الفصحى المحبوبة وإزالة بلبلتها بتوحيد لغتها العلمية ، وإعادة عزتها بجمع كلمة أبنائها ؛ وليس فيها كذلك إلا حفـلات وولائم متتابعات في قصر أمية والقصر الملكي ، وردهة محاضرات الجامعة ، وحـديقة الأمة الرائعة ، ورياض الغوطة الفيحاء ، ورُبى بلودان الشماء

كذلك تبدّلت بالمؤتمر الثامن في دمشق لهجةُ صحافتها ، فذهلت بنشر أخباره جريدة (الأيام) عن صراحتها ، و(القبس) عن معارضتها و (الجزيرة) عن ميثاقها ، و (ألف باء) عن اعتـدالها ، و (فتى العرب) عن كفاحه ، و (الشعب) عن طماحه ، و (المضحك المبكي) عن ظريف هزله ومزاحه

إن هذا المؤتمر — وهو دليلُ يقظة الأمة العربية وبرهانُ رشدها الاجتماعي — ليرمزُ إلى شعورها بقوتها الكامنة اليوم ، وبقدرتها الفاعلة غداً ؛ ولذا ورد على من خبر انعقاده في دمشق ما خفف من بث قاسي الملتاع بتشتت هذه الأمة ، والمرتاع لمصيرها المظلم ، فشعرت لمرى به شعورالأمل الحالم اغتبط بتوهم الحقيقة ، والهائم الحائم على مواقع القطر ابتهج برؤية أمنيّته فلمع نور البشر في غرّته

ولِمَ لا أغتبط — ليت شعري — ولا أبتهج ، أو لا تنتابني نشوة الطرب ، وبعيني رأيتُ حسن ذلك الخيال مجسماً ، وبأذني سمعت لحن ذلك الوصال مرنماً ، في بعض مجامع المؤتمر[1] من عتاب الأحباب على الهَجْر ، والأقرباء على الجفاء ، وجيرة المنازل والديار ، على تناسي حقوق الجوار ؛ والجوار — عمرك الله — رحمٌ شابكة وصلة واشجة ؟ وكان ممـا استرقته الأذن من قول أديب شاميّ لطبيب مصري وهو يعاتبه :

— « إن لم تنضموا إلينا فضمونا إليكم ، فما كان لحواجز الاستعمار أن تقوى على فصم عرى الجوار ؛ ألسنا نحن الشاميين نشارك إخواننا المصريين في أفراحهم وأتراحهم ؛ أما كنا نفرح بالأمس لسعد ، ولفوز سعد ، وأنصار سعد ؛ ألم نُرمض جوانحَنا « سيشل » بذكراها ، وتقض مضاجعنا « دنشواي » يبلواها ؛ أو لسنا نشاركم اليوم في نعيم الواحي (الراديو) فنطرب أمثالكم لألحان أم كلثوم وعبد الوهاب ، مثلما نساهمكم في العلوم والآداب

(١) نسبة إلى برقة أي طرابلس الغرب

(١) على مائدة القصر الملكي — أوربان بالاس — في وليمة مديرية الصحة العامة .

بسماع الآيات والخطب والمحاضرات ؟

أو ليس علماؤكم في الأزهر والجامعة علماءنا ، وأدباؤكم من الكتاب والشعراء أدباءنا ، وتاريخ القطرين الشقيقين يكاد يكون واحداً ، ومطالعاتنا اليوم في الكتب والمجلات والصحف المنتشرة ، تكاد تكون واحدة أيضاً ؟ أولا تعلم أن « الرسالة » يقرأها في دمشقنا هذه نجمة العلماء والأدباء من الجنسين المنيف واللطيف على السواء ؟ »

وكان الطبيب المصري يجيبه على أسئلته هذه العذبة الرقيقة بقوله :

— بلى ، بلى ، ونحن لكم اليوم يا أخي كذلك ، وفوق ذلك

فهذا الحديث وأمثاله هو من بعض بركات المؤتمر المصري على العرب والعربية معاً . ومن أعز تلك البركات المأثورة المزمُ على توحيد المصطلحات العلمية ؛ ففي جلستها الخطيرة بحث الخطباء في تاريخها وطرق وضعها ووسائل توحيدها ، وقد أشار كاتب سر المؤتمر الحكيم الدكتور عبد الواحد الوكيل في فاتحة الجلسة إلى أن الجمعية الطبية المصرية قد اهتمت في جميع مؤتمراتها السابقة بتوحيد المصطلحات الطبية ، فكان كل واضع يتعصب لوضعه فخرجنا من مؤتمراتنا كلها بدون فائدة ؛ ويجب الآن بعد تكوين المجمع اللغوي الملكي مع وجود المجمع العلمي الشامي أن تخرج هذه القضية من أيدينا إلى المجمعين

وقد شجعت جمعيتنا الدكتور محمد شرف على وضع معجمه وآزرته الحكومة فوزعته على الجمعيات اللغوية في الممالك العربية ، واقترحنا أن يُجعل أساساً لأعمال المصطلحات الفنية ، وأن يضاف اليه في كل طبعة ما يتمحض منها ، وما يوضع من الألفاظ الجديدة فيتألف منه على الأيام معجمنا العربي المنشود

ثم بحث الخطباء في طرق الوضع وهي جمة ، فذكروا منها قبول الأسماء الأعجمية الواردة على أوزان عربية ، وليس في لغتنا ما يدل عليها ، وقبول النحت عند الضرورة في الأسماء الأعجمية المركبة ، وترجمة الأسماء التي لا يصح تعريبها ؛ وفي الأسماء العلمية المركبة من جنس ونوع قد يجب تعريب الجنس ، والنوع ذو المعنى مما يجب ترجمته لا تعريبه ؛ وأما الأسماء المنسوبة الى الأعلام والأماكن فلا يجوز غير تعريبها ، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا يجنح اليها إلا بعد التثبت من أن دواوين اللغة وكتب الطب والعلم لا تشتمل عليها ، فاذا ظفرنا بمثل كلمة التعايش لكلمة Symbiose وقد ذكرها الزمخشري ، لم نحتج الى نحتها أو ترجمتها أو تعريبها

وفي خلال المباحث حدث جدال قليل بين بعض الأطباء في الدفاع عن الأوضاع ، لا محل لتفصيله ، فانبرى لفصل الجدال بينهم الدكتور يعقوب ثابت فرأينا منه خطيباً حلو النادرة ، طلق البادرة ، يتدفق في إبراهينه وفكاهاته تدفق اليعبوب ، فيملأ الأسماع والقلوب ، ومما قاله :

إن العمل المشوش (المرجل) لا يثمر أبداً ، والجمعيات الطبية العربية — وهي بحمد الله كثيرة في بلاد العرب — لا تثمر ولا تنتج إن لم تعمل كذلك بطريقة علمية منظمة ، فلو أن شعبة المصطلحات الفنية في الجمعية الطبية المصرية أخذت مثل كتاب : Medical terms dictionary وقسمت ألفاظه على عدد أعضاء الشعبة ، وفي آخر كل شهر يعرضون ما وضعوه على الجمعية مجتمعين ، وبعد تمحيصها وتحقيقها ، ترسلها الجمعية إلى مجمع اللغة الملكي بمصر ليحكم لها أو عليها ، فيعتبر حكمه عدلاً ، وقوله فصلاً

لا جرم أن من الانصاف والحصافة أن تجتمع كلمة الأقطار العربية على مجمع مصر الملكي لأنه يمثلها بالأعضاء الذين اختارهم من علمائها فاذا ما حكم بنصبة لفظة فكأنما حكمت بها مجامع العرب كلها ، إذ هي ممثلة فيه ومحكمة في نادية ؛ وأما مجامع اللغة في البلاد العربية فتعتبر روافد لمجمع مصر أو مؤتمرها اللغوي ، بما ترسله إليه من الأوضاع الجديدة ، وأعضاء المجمع المرسل يبينون لأخوانهم في مصر توجيهاتها ، وأسباب تعديلها وتفضيلها ، وبذلك يكون الانتاج خصيباً ، والرأي على الأغلب مصيباً ، وقديماً قيل : المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ومجمع اللغة المصري ضعيف بواحده ، قوي بروافده

إن هذا المؤتمر الطبي الثامن لغزير النفع ، كثير الرجع على الأمة العربية ، فمن مناقبه الجليلة تمهيدُه السبيل إلى توحيد المصطلحات العلمية ، وتمهيده السبيل إلى تعليم الطب في المدارس الطبية باللغة العربية وبهما يتمهد السبيل إلى توحيد مناهج التربية والتعليم في بلاد العرب الذي هو لعمري من أقوى البواعث على توحيد الثقافة العربية المؤدي إلى توحيد الأمة العربية ، وإلى سيادتها في العالم بتعارفها وتآلفها وتحالفها :

فنحن في الشرق والفُصحى بنو رحمٍ
ونحن في الجُرح والآلام إخوانُ

عز الدين التنوخي
كاتب سر المجمع العلمي